أربع قصائد

محمود درويش

الدانوب ليس ازرق

هي لا تعرفه ،
كان الزمان
واقفاً ، كالنهر ، في جثته
قالت له : جسمي مكان ..

كان ذاك اليوم صيفياً
وكان العاشقان
يستردان من الرزنامة الاولى
حساب الشمس
كان الامس
والحاضر كان ..

هي لا تعرفه
قالوا لها : يأتي مع النهر
الذي يأتي من الفجر ،
وكان التوأمان
ضفتي نهر .. يسيران معاً
أو يقفان
وهما .. لا يعرفان !
كان ذاك اليوم حقلاً
من ذبول وحنان
وهما يقتربان
ويموتان من الموت
ولا يلتقيان !

هي لا تعرفه
لكنها تشربه كالماء في رمل الزمان .
بعد عامين من الهجرة في الهجرة
ماتا
في انفجار القبلة الاولى
وفي جثته ، كان الزمان
واقفاً كالنهر في جثته
قالت له :
جسمي مكان !

امرأة جميلة في سدوم

يأخذ الموت على جسمك شكل المفره
وبودي لو اموت
داخل اللذة يا تفاحتي
يا امراتي المنكسره
وبودي لو أموت
خارج العالم في زوبعة مندثره !

(للتي اعشقها وجهان :
وجه خارج الكون
ووجه داخل سدوم العتيقه
وانا بينهما
أبحث عن وجه الحقيقه)

صمت عينيك يناديني الى سكين نشوه
وانا في اول العمر ،
رأيت الصمت
والموت الذي يشرب قهوه
وعرفت الداء والميناء
لكنك .. حلوه !

.. وانا انتشر الآن على جسمك
كالقمح .. كأسباب بقائي ورحيلي
وانا اعرف ان الارض امي
وعلى جسمك تمضي شهوتي بعد قليل
وانا اعرف أن الحب شيء
والذي يجمعنا ، الليلة ، شيء
وكلانا كافر بالمستحيل
وكلانا يشتهي جسماً بعيداً
وكلانا يقتل الآخر خلف النافذه !

(التي يطلبها جسمي ..
جميله
كالتقاء الحلم باليقظة ،
كالشمس التي تمضي الى البحر ،
بزي البرتقاله .
والتي يطلبها جسمي ..
جميله
كالتقاء اليوم بالامس
وكالشمس التي يأتي اليها البحر
من تحت الغلاله)

لم نقل شيئاً عن الحب
الذي يزداد موتا
لم نقل شيئاً ،
ولكنا نموت الآن
موسيقى وصمتا
ولماذا ؟ وكلانا ذابل
كالذكريات الآن ،
لا يسأل : من انتَ ؟
ومن أين أتيتَ ؟
وكلانا كان في حطين ،
والايام تعتاد على ان تجد الاحياء
موتى ..

اين ازهاري ؟
اريد الآن أن يمتليء البيت زنابق
أين اشعاري ؟
أريد الآن موسيقى السكاكين التي تقتل

كي يولد عاشق
واريد الآن أن انساك
كي يبتعد الموت قليلا
فاحذري الموت الذي
لا يشبه الموت الذي
فاجأ أمي ...

(التي يطلبها جسمي
لها وجهان :
وجه خارج الكون
ووجه داخل سدوم العتيقه
وانا بينهما
ابحث عن وجه الحقيقه)

ضباب على المرآة

نعرف الآن جميع الامكنه
نقتفي آثار موتانا ،
ولا نسمعهم .
ونزيح الازمنه
عن سرير الليلة الاولى ، وآه ...

في حصار الدم والشمس ،
يصير الانتظار
لغةً مهزومة ..
أمي تناديني ولا أبصرها عبر الفرار
وبموت الماء في الغيم ، وآه ...

كنتُ في المستقبل الضاحك
جُنديين ،
صرت الآن في الماضي وحيد
كل موت فيه وجهي
معطف فوق شهيد
غطاء للتوابيت ، وآه ...

لستُ جندياً ،
كما يُطلب مني ،
فسلاحي كلمه
والتي تطلبها نفسي
اعادت نفسها للملحمه
والحروب انتشرت كالرمل والشمس،
وآه

بيتك الآن له عشر نوافذ
وأنا ابحث عن باب
ولا باب لبيتك
والرياح ازدحمت مثل الصداقات
التي
تكثر في موسم موتك ،
وأنا ابحث عن باب ، آه ...

لم أجد جسمك في القاموس
يا مَنْ تأخذين
صيغة الاحزان من طروادة الاولى
ولا تعترفين
بأغاني ارميا الثاني ، وآه ..

عندما القوا عليَّ القبض ،
كان الشهداء
يقرأون الوطن الضائع في اجسامهم
شمساً وماء
ويغنون لجندي ، وآه ...

نعرف الآن جميع الكلمات
والشعارات التي نحملها :
شمسنا أقوى من الليل
وكل الشهداء
ينبتون اليوم تفاحاً واعلاماً وماء
ويجيئون ، وآه ...

.. ويسدل الستار

عندما ينطفيء التصفيق
في القاعة ،
والظل يميل
نحو صدري ..
يسقط المكياج عن وجه الجليل
ولهذا .. أستقيل !

أجدُ ، الليلة ، نفسي
عارياً
كالمذبحه
كان تمثيلي بعيدا عن مواويل أبي
كان تمثيلي غريباً عن عصافير الجليل
وذراعي مروحه
ولهذا .. أستقيلُ .

لقّنوني كل ما يطلبه المخرج
من رقصٍ على ايقاع اكذوبته
وتعبتُ الآن ،
علّقتُ أساطيري على حبل غسيل
ولهذا .. أستقيل !.

باسمكم ، أعترف الآن بأن المسرحيّه
كُتبت للتسليه
رضي النقاد ، لكن عيون الجدليه
حفرتْ في جسدي
شكل الجليل
ولهذا .. أستقيلُ .

يـا دمي !
فرشاتهم ترسم لوحات عن اللد ،
وأنت الحبرُ ،
ما يافا سوى جلد طبول
وعظامي كالعصا في قبضة المخرج
لكني أقول :
أتقن الدور غداً ، يا سيدي !
ولهذا .. أستقيل !

سيداتي ، آنساتي ، سادتي
سلّيتكم عشرين عام
آن لي أن ارحل اليوم
وأن أهرب من هذا الزحام
وأغني في الجليل
للعصافير التي تسكن عشّ المستحيل
ولهذا .. أستقيلُ
أستقيل
أستقيل ..

محمود درويش